

الرسائل المدونة عند يوربيديس

فسواد شرقاوى

تطلنا فى إلبادة هوميروس أول رسالة مدونة فى الأدب الإغريقى ، وى تلك الرسالة التى حملها بللوفورنتيس Bellophorontes - الذى كان يجهل القراءة - إلى والد زوجته ، فى حين أن زوجة برونوس - صاحبة الرسالة - تحفه فيها على قتل بللوفورنتيس زاعمة أنه قد حاول مضاجعتها على غير رغبة منها^(١).

وفى حين لانتكاد نخلو مأساة إغريقية من رسالة شفاهية تنقلها شخصية فرعية أو ثانوية أو رئيسية ، فإنه لا يوجد ، فيما بقى لدينا من مأس إغريقية ، سوى ثلاث رسائل مدونة نجدها فى ثلاث مأس ليوربيديس . وأول ما يتبادر إلى الذهن - فى هذه الحالة - أن يوربيديس قد تأثر بتكنيك هوميروس ، وأنه قد انفرد بين شعراء المأساة الإغريقية باستخدام الرسائل المدونة فى بعض مآسبه .

وتفقدنا هذه الملاحظة إلى تساؤل ، هو محور هذا البحث ، حول قيمة تلك الرسائل المدونة - من الناحية الفنية - فى المأسى الثلاث المشار إليها ، أو - فى عبارة أخرى - ضرورة استخدام يوربيديس للرسائل المدونة بدلاً من الرسائل الشفاهية .

فى مأساة افيجنيا فى أوليس يكتب أجامنون إلى زوجته - فى موكناي - رسالتين يطلب فى الأولى حضورها إلى أوليس ويرفقتها ابنتهما إفيجيا ليتم زفافها إلى اخيلئوس ، فى حين أنه سيقدمها - فى الحقيقة - قرباناً لآرتميس^(٢) . وبعد أن تراجع أجامنون عن التضحية بابنته ، يكتب إلى زوجته رسالة ثانية يطلب فيها عدم حضورها وابنتهما إلى أوليس نظراً لتأجيل الزفاف إلى وقت لاحق^(٣) .

وفى حين أن أجامنون لم يستغرق وقتاً طويلاً فى كتابة رسالته الأولى ، فإن الامر كان مختلفاً حينما شرع فى التفكير فى كتابة رسالته الثانية . فأجامنون ينتابه القلق والتوتر طوال الليل ، ولا يعرف النوم طريقة إلى جفنيه ، وعندما يبدأ فى كتابة الرسالة - على ضوء مصباح خيمت - يجد صعوبة بالغة فى اختيار اللفاظ ، فيكتب كلمة ويمحو أخرى ، وعندما يختم الرسالة يعود ليفض ختمها من جديد فى نور وعصية بينما الدموع تنهمر من مقلبه^(٤) . ولا ينتهى نور أجامنون وعصيته بانتهاء كتابة الرسالة ، وإنما يخرج من خيمته لينزع الطريق جيئة وذهاباً بما يشير دهشة عماده المعجز وسأله عن سر حالته^(٥) ، فإذا

بأجائمنون يكشف له عن آلامه بكاملها ويسلمه الرسالة لينقلها إلى زوجته ، بعد أن يطلعه على ما جاء فيها^(٦٦).

وسنحاول الآن معالجة قضية رسالة أجائمنون المدونة إلى زوجته من حيث مغزاها الدرامي ، آخذين في الاعتبار أنه قد قرأنا على خادمه قبل أن يطلب منه نقلها إليها . يبدو لنا أن أحد أهداف هذه الرسالة المدونة ، بكل ما استغرقت من وقت في التأمل والبحث عن الكلمات المناسبة ، وبكل ما احاطت كتابتها من توتر ومعاناة ، هو الكشف عن شخصية أجائمنون بما يتورعها من جوانب قصور عديدة ومتباينة في رأى نقاد كثيرين ، فأجائمنون شخصية ضعيفة مترددة^(٦٧) ، غير حاسمة^(٦٨) ، عاجزة عن اتخاذ القرار وتتأرجحها واجب القيادة والآبوة^(٦٩) ، ويسيطر عليها الخوف^(٧٠) ، والالوانية وحس السلطة^(٧١) ، والظموح^(٧٢) . على أن الأمر الذي لا يتطرق إليه الشك أن انتهاء الأمر بأجائمنون إلى كتابة تلك الرسالة الثانية يدل على أنه قد تخلص من عيوبه السابقة ، وأنه صار حريصا كل الحرص على وقف مجيئ ابنته ، مخالفا رغبة الجيش ، لذلك يبعث رسالته في الليل^(٧٣) ، في الخفاء *λῆπρα*^(٧٤) ، وعلى جناح السرعة^(٧٥) . وعندما يتم اكتشاف أمر الرسالة ، لا يغير أجائمنون موقفه الجديد وإنما ينتقد الجيش ، في شجاعة ، ويتهمة بالحماقة *μωρία*^(٧٦) ، ويعارض التضحية بابنته لما في ذلك من مخالفة للعرف والعدل *ἀννομία* *καὶ* *δικαία*^(٧٧) ، لكن وصول إفيجينيا المفاجئ^(٧٨) ، يسقط في يد أجائمنون ويشعره بأن إرادة القدر ، التي لا راد لها ، تلزمه بأن يضحي بابنته^(٧٩).

ويتصل بدور الرسالة المدونة في الكشف عن شخصية أجائمنون أمر آخر قد استشهد به يوريديس وهو تقديم دراما نفسية . فالحديث يرتكز - بصفة أساسية - حول شخصية أجائمنون ويفرضها - بمهارة - من الزاوية النفسية^(٨٠) . ومن خلال تردد أجائمنون وتغير قراره يقدم لنا يوريديس دراما نفسية عن الحيرة والتردد^(٨١) . ومن الجدير بالذكر - في هذا الصدد - أن حالة أجائمنون النفسية تنعكس على حركاته وتعبيرات وجهه ، فهو يمشي بعصبية وقلق بالغ^(٨٢) ، ويذرف الدموع المداورة^(٨٣) ، وترسم على محياه دلائل التوتر والانزعاج^(٨٤).

وهناك سبب آخر ، غير التعبير عن حالة أجائمنون النفسية ، يبرر إرسال أجائمنون رسالة مدونة إلى زوجته رغم اطلاع خادمه ، حامل رسالته ، على نصها . فهذه الرسالة الثانية تلغى ما جاء في الرسالة الأولى ، إذ أنها تطلب من كليثمنسترا وابنتها - كما ذكرنا - عدم الحضور إلى أوليس في الوقت الحالي بدعوى

تأجيل زواج ابنتها إلى وقت لاحق . وقد بساور كليمنسترا ، التي أخذت أمهتها للرحيل وأعدت ما يلزم زفاف ابنتها ، الشك في صحة ذلك فيما إذا كانت الرسالة شغافية ، وربما لا تأخذها مأخذاً جدياً ، أما الرسالة المدونة المختومة بخاتم اجامنون فتكون موضع تصديقها ونقبتها . وعلى ذلك فإن حرص اجامنون على أن تتفقد زوجته رسالته بلا تردد ودون أن تساورها الشكوك هو الذى يجعله يبعث إليها رسالة مدونة مختومه بخاتمه ^(٢٥) .

ويبدو لنا أن هناك سبباً جوهرياً من جعل رسالة اجامنون إلى زوجته رسالة مدونة ، وهو احكام حبكة يوريديس للمأساة عن طريق احباط خطة أجامنون الرامية إلى وقف حضور ابنته تجنباً للتضحية بها . فميتلاوس ، الذى يقضى الليل ساهراً قلقاً فى انتظار مجئ كليمنسترا وابنتها ، يشك فى الأمر حينما يلمح خادم اجامنون يحمل رسالة بين يديه وينطلق بها خارج المعسكر - فى اتجاه موكيناي - فيقبض عليه ويفض الرسالة ويطلع على محتواها ، ثم يصطدم مع شقيقه وينتهى الأمر باحباط خطته ^(٢٦) ، وربما لم يكن من المتاح أن يحدث كل ذلك لو لم يكن خادم اجامنون يحمل رسالة مدونة . على أن اكتشاف أمر رسالة أجامنون وما يترتب عليه من إحباط خطته أمر محتتمه الضرورة الدرامية ، فمن الضروري أن يحدث الصدام بين أجامنون وميتلاوس ليتم من خلال ذلك الكشف عن شخصيتهما ، ولا بد - فوق ذلك - أن تتم التضحية بأفيجيا .

وعلى ذلك فإن رسالة اجامنون المدونة قد أدت أكثر من وظيفة ؛ فقد ساعدت فى الكشف عن جوانب شخصيته وفى تقديم دراما نفسية ، كما أن فشل الرسالة فى تحقيق خطة أجامنون قد ساعد على تحريك الحدث نحو النهاية المحتومة التى تقتضيها الضرورة الدرامية ، أو يستلزمها القدر .

وبعد أن عالجت رسالة أجامنون إلى زوجته التى استهدف من ورائها انقاذ ابنته من الموت ، تنتقل إلى رسالة أخرى ، وهى رسالة أفيجيا - فى مأساة أفيجيا بين التاورين - التى بعثت بها الى شقيقها أورستيس لإيقاظها من عذاب الحياة فى تاوروس . ففى مأساة إفيجيا بين التاورين نعرف أن أورستيس وصديقه ييلاديس قد حَلَا بتاوريس - دون علم إفيجيا - بينما كانت إفيجيا قد أعدت رسالة إلى شقيقها أورستيس تخبره فيها أنها مازالت على قيد الحياة ، ولم تذبح فى أوليس كما يظنون ، إذ أن الربة ارتemis قد فدتها بغزال ، ثم تطلب منه أن يبعث ليحملها إلى أرجوس قبل أن تموت فى تاوريس ، تلك الأرض الوحشية ، حيث قضى عليها أن تحكم بالموت على كل غريب تطأ قدماء أرض تاوريس ^(٢٧) .

وأول ما نلاحظه بشأن هذه الرسالة أن إفيجنيا لم نكتبها بنفسها ، وإنما أمنتها على أحد الأسرى قبل أن يلقى حتفه في تاوريس ^(٢٨) ، مما يدل على امرين أولهما أنه قد انقضى وقت على كتابة تلك الرسالة ، وثانيهما أن إفيجنيا تجهل القراءة والكتابة . فلماذا لم ترسل إفيجنيا - إذن - رسالتها تلك إلى شقيقها قبل الآن ؟ يجب نص المأساة على هذا السؤال عندما يشير إلى أن أورستيس وبيلاديس - اللذين لا تعرف إفيجنيا شخصيتهما - كانا أول غريبين أرجوسيين تلتقى بهما منذ اعدادها تلك الرسالة ، وبالتالي فهما اجدر من غيرهما بحملها ، فضلا عن انهما يعرفان اسرتها ^(٢٩) . وربما نستدل - من ناحية أخرى - من خلال احتفاظ إفيجنيا ، غير المتعمد ، برسالتها طوال الوقت على وظيفة غير مباشرة لتلك الرسالة المدونة وهي تجسيد حالة إفيجنيا النفسية .

وما دامت إفيجنيا تجهل القراءة والكتابة ، فما الذى يلزمها بأن تبعث إلى شقيقها رسالة مدونة ، بينما ستحقق الرسالة الشفاهية نفس الغرض ؟ . ليس امامنا - فى حقيقة الأمر - سوى محاولة اقتراح سبب يدعو إلى ذلك حيث أن نص المأساة لا يقدم - فى هذا الصدد - سبباً واحداً مباشراً . فربما رغبت إفيجنيا فى إرسال رسالة مدونة إلى شقيقها بدافع من حرصها البالغ على أن تصل رسالتها إليه بكامل تفاصيلها دون أن يسقط منها - إن كانت شفاهية - بعض المعلومات أو التفاصيل التى يهمها ابلاغها إلى أورستيس ، الامر الذى يعكس حالة إفيجنيا النفسية المتمثلة فى حنينها الشديد إلى لقاء الأهل والعودة إلى الوطن والخلاص مما هى فيه .

وربما امكن تفسير رسالة إفيجنيا المدونة فى ضوء صلتها بمشهد التعرف ، الذى يعد واحداً من ابداع مشاهد التعرف فى المأساة اليونانية ^(٣٠) ، والذى لا يضاهيه براعة سوى مشهدا التعرف فى مأساتى هيلين وايرن ^(٣١) . وما يدل على قيمة ذلك المشهد من الناحية الفنية أن أرسطو يشيد به - فى كتابة فن الشعر - فى مناسبتين مختلفتين . فعند الحديث عن التعرف الذى يلزم أن يتم بين الطرفين مادام أن كلا منهما غير معسوف للآخر ، يذكر أرسطو أن هذا النوع من التعرف نجده فى إفيجنيا فى تاوريس ، فأورستيس يتعرف على إفيجنيا ، ثم تتعرف إفيجنيا على أورستيس ^(٣٢) . وعند الحديث عن أفضل أنواع التعرف ، يقدم أرسطو التعرف فى إفيجنيا فى تاوريس نموذجاً ، ذلك لأنه ينشأ من الأحداث ذاتها ويخضع لمبدأ الاحتمال To Eikos إذ أنه من الطبيعى أن نبعث إفيجنيا برسالة مدونة إلى شقيقها ^(٣٣) .

لكن الأمر الذى يجب أن ندخله فى اعتبارنا أن التعرف بين الشقيقتين كان أمراً يستحيل حدوثه دون كشف محتوى الرسالة، لذلك فقد أوجد يوربيديس - فى براعة واقتدار - مبرراً لذلك حينما جعل بيلاديس، الذى أوكلت إليه مهمة حمل الرسالة، يتبر عن مخاوفه من فقدان الرسالة إذا ما تعرض لمخاطر البحر فى طريق عودته إلى أرجوس^(٢٤)، مما يضطر إفيجنيا إلى الإفضاء إليه بمحتواها، ويقود - بالتالى - إلى التعرف بينها وبين شقيقتها^(٢٥).

وعلى ذلك، فإن التعرف - عن طريق كشف محتوى الرسالة - يحقق وظيفتين أساسيتين؛ الأولى هاتين الوظيفتين هى توجيه الأحداث وجهة مختلفة عما كان متوقفاً، وهو ما يسمى بالتحول περιπετεία عند أرسطو^(٢٦). فبدون التعرف كان موت أورستيس متوقفاً أو محتملاً، كما أن بقاء إفيجنيا فى تاوريس كان - بالتالى - أمراً محتملاً. ولعل ما يميز التعرف فى إفيجنيا فى تاوريس أنه مصحوب بالتحول، مما يجعله، بالمقياس الأرسطى، من ابدع التعرفات^(٢٧).

أما الوظيفة الثانية للتعرف فى إفيجنيا فى تاوريس - عن طريق الرسالة - فهى تخفيف حدة التوتر والتشوف لدى الجمهور. فقد حرص يوربيديس طوال أكثر من نصف المأساة الأولى على اللجوء إلى أكثر من وسيلة للمباعدة بين الشقيقتين وتأخير التعرف بينهما. ومن بين الوسائل التى لجأ إليها يوربيديس لتأخير التعرف أنه قد جعل إفيجنيا يسيطر عليها هاجس بأن شقيقتها قد مات^(٢٨)، وألح إلى صعوبة التعرف عليه - إن كان حياً - لأنها لم تره منذ كان طفلاً صغيراً^(٢٩)، كما أنها لا تعرف شخصاً باسم بيلاديس^(٣٠). كذلك حرص يوربيديس على غياب إفيجنيا فى المشهد الذى يخاطب خلاله بيلاديس أورستيس باسمه^(٣١)، كما حال دون أن يفعل بيلاديس ذلك فى حالة وجود إفيجنيا قبل مشهد التعرف. وعندما يلتقى الشقيقان قبل تعرفهما يتهرب كلاهما من ذكر اسمه رغم سؤال كليهما الصريح عن ذلك^(٣٢)، وحتى عندما يقترب التعرف بين الشقيقتين، عندما تقوم إفيجنيا بتسليم خطابها إلى أحد الغريبين، وهو شقيقتها الذى لا تعرفه^(٣٣)، فإن يوربيديس يؤخر التعرف بينهما لفترة وجيزة إلى حين تقوم إفيجنيا بالكشف عن محتوى رسالتها^(٣٤). ولاشك أن كل هذه الوسائل التى لجأ إليها يوربيديس لتأخير التعرف تولد لدى الجمهور شعوراً بالتوتر والتشوف إلى لحظة التعرف بين الشقيقتين. على أن ذلك التعرف لا ينهى تماماً حالة الترقب والتوتر لدى الجمهور، وإنما يقودهم إلى مرحلة أخرى يتابعون خلالها - بكل قلق - محاولة أفيجنيا وأورستيس الهروب من تاوريس التى تتأرجح بين النجاح والأخفاق.

وعبلى ذلك فإن رسالة إفيجنيا المدونة قد أدت أكثر من وظيفة ، فهي تجسد حالة إفيجنيا النفسية المتمثلة فى حبسها إلى أمليها فى أرجوس ورغبتها فى النجاة من تاوريس . كما أن تلك الرسالة تقوم بوظيفته تحقيق التعرف بين إفيجنيا وأورستيس مما يؤدى إلى نجاة إفيجنيا من تاوريس ونجاة أورستيس من الموت ، وتخفف عن الجمهور - فى الوقت نفسه - حدة التوتر والتلق الذى يسبق موقف التعرف ، وتقود - من ناحية أخرى - إلى توتر جديد معته محاولة إفيجنيا وأورستيس الهروب من تاوريس المحفوفة بالمخاطر .

وبينما تقدم لنا مأساة إفيجنيا فى أوليس رسالة كتبها أجاممنون لإنقاذ حياة ابنته من الموت ، وتقدم لنا مأساة إفيجنيا فى تاوريس رسالة بعثت بها إفيجنيا إلى شقيقها أورستيس لإنقاذها من عذاب الحياة فى تاوريس ، فإن مأساة هيبوليتوس تعرض علينا رسالة أخرى لها وظيفة درامية جديدة ، وهى تلك الرسالة التى كتبها فايدرا إلى زوجها قبيل إنتحارها . ويثير هذا الظرف الغريب المحيط بتلك الرسالة أكثر من تساؤل ؛ فلماذا انتحرت فايدرا ، ولماذا تركت تلك الرسالة المدونة ؟

بدأت فكرة الانتحار تختمر فى ذهن فايدرا بعد معاناة عام كامل فى التغلب على حبها لابن زوجها هيبوليتوس ، ذلك الحب المحرم الذى ظل عاماً خافياً على الجميع بما فى ذلك هيبوليتوس نفسه العزوف عن عاطفة الحب ^(٥٠) . وتطالعنا فايدرا - فى بداية مأساة هيبوليتوس - بعد مرور ثلاثة أيام على اتخاذها قرار الانتحار البطيء ، إذ امتنعت منذ ذلك الوقت عن الطعام ^(٥١) . ويدفع فايدرا إلى الانتحار شعورها بالخلج والخنزى αἰδώς من نفسها ، وخوفها من أن تلحق العار بزوجها وأطفالها ^(٥٢) . ومن هذه الناحية تعتبر فايدرا امرأة فاضلة فقد حاولت أن تقهر حبها وأن تكبت عواطفها ، وعندما اكتشفت أن إرادتها ضعفت ، وأنها أصبحت غير قادرة على قهر حبها ، وكبت عواطفها فإنها فضلت الموت على تلوث سمعتها وسمعة أطفالها ^(٥٣) . وهذه الطهارة التى تسعى إليها فايدرا هى ما يتوقع الاغريق أن تتحلى بها المرأة المتزوجة ^(٥٤) . ولقد بين يوربيديس أن فايدرا قد عانت صراعاً نفسياً طويلاً انضغ من خلاله أن تطهرتها لا يرقى إليها شك ^(٥٥) . ولعل أبرز ما يبدل على حفاظ فايدرا على طهارتها أنها فضلت الموت فى صمت ؛ بامتناعها عن الطعام ، عن إفشاء سر حبها سواء لهيبوليتوس أو غيره .

غير أن سر فايدرا لم يعد - بعد الآن - خافياً على أحد سوى هيبوليتوس وزوجها لسيوس ، إذ تمكنت مربية فايدرا الماكرة أن تستدرجها وتلح عليها أن تبوح به إليها أمام الجوقة ^(٥٦) . ولا تقنع مربية فايدرا بهذا ، وإنما تنتقد محاولة سيدتها الانتحار هروباً من الحب ، وتدعى أنها تملك عقاراً سحرياً يوسعه أن يدفع

هيوليتوس إلى الهيام بها ، مما يغرى فايدرا بالانقياد لها - خاصة - بعد أن تستوثق من أن مربيتها لن تكشف امرها لهيوليتوس^(٥٢). وفي تصورنا انقياد فايدرا وراء مربيتها يجعل بين طيائه أكثر من دلالة. فهو يوضح أن فايدرا لم تنجح كلية في السيطرة على حبها لابن زوجها ، ويدل على أن شعورها بالخجل والخزي، αἰδώς الذي لا يكمن - فحسب - في خوفها من العواقب المحزنة لذلك الحب المحرم ، بل في عجزها عن مكاشفة هيوليتوس بهذا الحب ، هو الذي يدفعها إلى قبول خطة مربيتها الماكرة التي تخلصها من ذلك الشعور بالخجل . ولعل أبرز ما يدل عليه انقياد فايدرا لمربيتها أنها قد تراجعت - مؤقتاً - عن فكرة الانتحار ، مادامت لن تكون عرضه للإحساس بالخجل والخزي ، وما دامت ستوفر لها مربيتها الحب والحياة .

على أن فايدرا لاثبت أن تأخذ قرار الانتحار مرة أخرى بعدما اتضح لها أن مربيتها قد خانتها وافشت إلى هيوليتوس سر حبها الذي قابله بثورة هائلة وغضب يفوق كل تصور^(٥٣). ويدل تصرف مربية فايدرا ، المتمثل في عدم وفائها بالعهد الذي قطعت على نفسها أمام سيدتها ، على أنها امرأة عملية لا تقيم وزناً للجوانب الأخلاقية على العكس من سيدتها^(٥٤) . ولقد شاء يوربيديس أن يجعل تصرف مربية فايدرا على ذلك النحو حتى يجعل - من خلال ذلك - بالحدث ، ويدفعه نحو النهاية المحتومة^(٥٥). وفي تصورنا أن تصرف المربية ، بما يترتب عليه من سوء العلاقة وفقدان الثقة من جانب فايدرا تجاهها ، يبرر استبعاد فايدرا لها في تنفيذ خطة الانتحار كما سنرى فيما بعد .

لقد كانت فايدرا تعتمز - من قبل - الانتحار البطيء عن طريق الامتناع عن الطعام أما الآن فقد استقر رأيها على الموت في الحال Κατ'εὖρον οὖρον Τάχος^(٥٦). يدفعها إلى ذلك الرغبة في معاقبة هيوليتوس على صلفه وغروره^(٥٧)، والخجل من انفضاح امرها ، والخوف من عودة زوجها - الغائب عن الوطن - المرتقة بين لحظة وأخرى . وتأخذ فايدرا - بمفردها - في تدبير خطة انتحار نصون سمعتها^(٥٨)، دون الاستعانة بمربيتها^(٥٩)، أو الجوقة . فلا شك أن تجربة فايدرا مع مربيتها قد لغقتها درساً لا يمكنها نسيانه ، وأدت إلى شعورها الحاد بانعدام الثقة .

وتتمكن فايدرا من تنفيذ خطة انتحارها قبل عودة زوجها ، إذ تقوم بشق نفسها^(٦٠)، بعد أن كتبت رسالة لزوجها - مختومة بخاتمها - علقتها في رسفها^(٦١). وعندما يطلع الزوج التمس على رسالة زوجته ، التي تدعى فيها أن ابنه قد راودها عن نفسها ، يلعن الأب ابنه ويدعو الإله بوسيدون ألا يبقى ابنه على قيد الحياة بعد اليوم جزاءً على جريمته الشنعاء^(٦٢). ولما كان هيوليتوس قد اخذ عهداً

على نفسه ألا يكشف حب فايدرا له ، فإنه يعجز عن الدفاع عن نفسه بثبتي الطريق ، ولا يلبث بوسيسدون أن يستجيب لدعاء والده ، واختيراً تظهر الربة آرتميس لتعلن - بعد فوات الأوان - براءة هيپوليتوس^(٦٣). ويمكن القول أن الجزاء الذي ناله هيپوليتوس - رغم براءته - ناتج عن أن طهارته الزائدة عن الحد هي نوع من الجنون^(٦٤)، والمغالة^(٦٥)، والتطرف^(٦٦). على أن الأمر - في تقديرنا - ليس مجرد مغالة وتطرفاً في الطهارة ، وإنما هو - أيضاً - مغالة وتطرف في غضبه الذي أصاب فايدرا بجرح مهين ، ودفعها إلى طريق مسدود بحيث لم يصبح أمامها إلا أن تدمر نفسها وتعمل على تدميرها .

ولقد توفرت في خطة انتحار فايدرا اسباب النجاح التي حملت والد هيپوليتوس على اذانة ابنه ، وحقت - في نهاية الأمر - هلاكه - . فانتحار فايدرا يؤكد صحة اتهام هيپوليتوس ، لذلك يبدو اقتناع ثيسوس بدفاع هيپوليتوس شيئاً محتملاً أو ضرورياً أيضاً^(٦٧) . وهذا ما نلمسه - في واقع الأمر - في أكثر من موضع من مشهد الانتحار^(٦٨). على أن الأمر الذي يجب أن نُدخله في اعتبارنا أن سرعة انتحار فايدرا قبل عودة زوجها قد حققت النتيجة المرجوة من ورائه ، وهي إدانة هيپوليتوس التي يترتب عليها هلاكه . أما لو تأخرت فايدرا في الانتحار فقد يطلع الابن أباه على الحقيقة ويُقوّت الفرصة عليها ، وهو الأمر الذي فطنت إليه فايدرا وخشيت حدوثه فنجّلت بانتحارها^(٦٩).

على أن رسالة فايدرا الكاذبة ، التي تركتها لزوجها قبل انتحارها ، تعد ركناً أساسياً في نجاح خطة انتحارها . فتلك الرسالة هي الوسيلة التي تنتقم بها من هيپوليتوس لما قدم لها من إهانة ، وتدافع بها عن سمعتها وشرفها. إذا ما أراد هيپوليتوس أن يكشف الحقيقة لوالده ثيسوس^(٧٠)، إنها دليل على لا يرقى إليه الشك^(٧١). كما أن ردود أفعال هيپوليتوس غير الطبيعية تجاهها قد جعلته يبدو مداناً^(٧٢). وعلى الرغم من أن رسالة فايدرا قد حققت الغرض منها وهو إدانة هيپوليتوس دون إصغاء إليه إلى دفاعه عن نفسه^(٧٣)، فإنها - من ناحية أخرى - تحقق غرضاً آخر هو إدانة ثيسوس بالاندفاع أو التهور الناتج عن تصديق زوجته دون تريث أو تعقل^(٧٤).

وربما يمكن النظر إلى رسالة فايدرا الكاذبة إلى زوجها بوصفها إحدى حلقات التشويق في هذه المسألة الذي بدأت حلقاته الأولى في البرولوج حينما صرحت افروديتي بأنها ستكشف الأمر إلى ثيسوس وسيضحى ذلك واضحاً جلياً^(٧٥) δειξω δε θησει πραγμα, κακφνηθεῖται.

ويتوالى الكشف التدريجى ابتداء من كشف حب فايدرا الى كل من المربية والجوقة ، ثم هيبوليتوس . ويأتى بعد ذلك دور الرسالة الكاذبة فى الكشف لثبوت عن جريمة هيبوليتوس الملفقة ، واخيرا ينكشف كذب الرسالة وبراءة هيبوليتوس بعد فوات الآوان .

فإذا كانت رسالة فايدرا التى كتبها إلى زوجها قبيل انتحارها قد أدت كل هذه الادوار ، فهل كان الأمر يختلف كثيراً إن كانت رسالتها إليه رسالة شفاهية تنقلها المربية على سبيل المثال ؟ . فى تصورنا أن فايدرا استبعدت اسناد هذه المهمة إلى مربيها واختارت أن تكون رسالتها إلى زوجها مدونة لأكثر من سبب . فمن المتوقع أن تتعرض المربية لضغوط من هيبوليتوس عندما يدافع عن نفسه ، أو تواجه استفسارات من الزوج تحمّلها على كشف الحقيقة وإفشال خطة سيدتها فى إدانة هيبوليتوس . ولعل السبب الجوهري وراء استبعاد فايدرا الاستعانة بمربيها هو انها قد فقدت الثقة فيها بعد أن افشت سرها إلى هيبوليتوس كما بينا من قبل . ولعل لا اكون مبالغاً إن قلت أن حالة فقدان ثقة فايدرا فى مربيها قد دفعتها ألا تخبر مربيها باعتزامها كتابة رسالة إلى زوجها قبيل انتحارها ، فضلاً عن أنها علّقت تلك الرسالة فى رسفها ليكون ثبوت أول من يطالعها عندما يقترب من جسد زوجته الصريح ، ثم انها ختمتها بخاتمها حتى يكون هو أول من يفضها ويطلع على ما فيها .

تلعب رسالة فايدرا - إذن - دوراً أساسياً فى خطة انتحارها صوناً لثبوت شرفها وسمعة زوجها وابنائها ، وانتقاماً - فى الوقت نفسه - من أعراض هيبوليتوس عن حبها . وتؤدى الرسالة دوراً هاماً فى تحريك الاحداث نحو نهايتها المحتومة حينما تكشف لتسيوس عن جريمة ابنه الملفقة . وتجسد تلك الرسالة المدونة حالة إنعدام ثقة فايدرا فى مربيها وإلا كانت قد أوكلت إليها نقل رسالتها إلى زوجها .

لعلنا لاحظنا أن يوريديس ، الذى انفرد بين شعراء المأساة الاغريقية بأسلوب الرسائل المدونة ، قد برع فى توظيفها - فى مأسى إفيجنيا فى أوليس وأفيجنيا بين التاورين وهيبوليتوس - فى الكشف عن شخصيات اصحابها ، وابرار ما يعتمل بجوانحها من مشاعر الطموح والقلق والتردد واللهفة والكرامة ، وتبسيط الضوء على علاقاتهم بالآخرين ، وتحريك الاحداث نحو نهايتها المحتومة ، مما يحملنا على القول بأن استخدامهما الواعى فى تلك المأسى كان يستهدف تحقيق كل هذه الوظائف الفنية .

الحواشي والمراجع

- Homeros, Iliad, VI, 165 ff. (١)
- Iph. Au., vv.89 - 105. (٢)
- Ibid, vv.117 - 123. (٣)
- Ibid, vv.34 - 40. (٤)
- Ibid, vv. 12 - 16 , 43 - 48. (٥)
- Ibid, vv. 88 - 123. (٦)
- A.Bonnard, Iphigénie à Aulis, Tragique et Poésie, In : MH 11, 1945, P.91. (٧)
- H.Funk, Aristotles Zu Euripides' In Aulis. In : Hermes 92, 1964, P.286.
- T.A. Sinclair, A History of Classical Greek Literature From Homer To Aristotle
(London : Routledge & Kegan Paul LTD, 1949) P. 286.
- H.D.F. Kitto, Greek Tragedy , (London : Methuen & Co LTD, Rep., (٨)
1951).PP.362 - 364.
- A.E. Haigh, The Tragic Drama of The Greeks (New Yourk : Dover (٩)
Publications,1968). P.315.
- Philip Vellacott, Ironic Drama. A Study of Euripides' Method & Meaning (١٠)
(Cambridge : Cambridge University Pr. 1975) P.219.
- Herbert Siegel, Agamemnon In Euripides' Iphigeneia At Aulis, In : Hermes, 109,
1981, P.259. PP.263-264.
- Bruno Snell, The Discovery of the Mind In Greek Philosophy & Literature (New (١١)
York: Dover Publications,1982 P.130.)
- Gilbert Murray, Euripides & His Age (London : Willam & Worgate, 1927) (١٢)
PP.176 - 177.
- Iph.Au., vv. 6-8, 12 - 15. (١٣)
- Ibid, v.326. (١٤)
- Ibid, vv.138-139, 157-160. (١٥)
- Ibid, v.394. (١٦)
- Ibid, v.399. (١٧)
- Ibid, vv.414 - 439. (١٨)
- Ibid, vv.511 - 512. (١٩)

Albin Lesky, Greek Tragedy (London : Ernest Ben LTD, 1978) P.193. (٢٠)

John Jones, On Aristotie & Greek Tagedy (London : Chatto & Windus 1982) (٢١)
P.247.

Iph. Au., v.12. (٢٢)

Ibid, vv. 39 - 40 , v. 398, vv.451- 452,v. 477. (٢٣)

Ibid, v.644 . (٢٤)

Ibid, vv. 154 - 157. (٢٥)

Ibid,v. 303 ff . (٢٦)

Iph. Tau., vv. 770 - 786. (٢٧)

Ibid, vv. 584 - 585. (٢٨)

Ibid, vv. 588 - 592. (٢٩)

Gilbert Murray, Op. cit ., P. 146 (٣٠)

Oliver Taplin, Greek Tragedy In Action (London : Methuen & Co LTD, 1976) (٣١)
P.72.

Arist., Poetics, 1452 B 5 - 8. (٣٢)

Ibid, 1455 A 16 - 19 . (٣٣)

Iph. Tau., vv. 755 - 758. (٣٤)

Ibid, v. 793 ff. (٣٥)

Arist., Poetics, 1452 A 22 - 24 . (٣٦)

Ibid, 1452 A 32 - 33. (٣٧)

Iph. Tau., vv. 54 - 58 , 348 - 350 , 373 - 374, 378 - 379. (٣٨)

Ibid, vv. 230 - 234 . (٣٩)

Ibid, vv. 59 - 60, 248 - 250. (٤٠)

Ibid, v. 70 ff. (٤١)

Ibid, vv. 499 - 504, 540 - 541. (٤٢)

Ibid, v. 578 ff. (٤٣)

Ibid, v. 769 ff. (٤٤)

Hipp., vv. 34 - 40 . (٤٥)

Ibid, vv. 135 - 140. (٤٦)

Ibid, vv. 385 - 423. (٤٧)

پوریڈیس ، میبولیتوس ، ترجمہ و تقدیم ، د . عبد المظی شعراوی ، مراجعة د . أحمد (٤٨)

- عثمان (الكويت : وزارة الاعلام ، المسرح العالمي ، العدد ١٨٢ ، ١٩٨٤) ص ١٢
- L.Moulinier, *Le Pur e L'Impur dans La Pensée des Grecs d'Homère à Aristote* (٤٩)
(Paris, 1952) PP. 203 - 205.
- S.G. Flygt, *Treatment of Character In Euripiodes and Seneca . The Hippolytus*, In (٥٠)
: CJ, Vol. 29 , 1943, P.512.
- Hipp., vv. 322 - 361 . (٥١)
- Ibid, vv. 440 - 521. (٥٢)
- Ibid, vv. 589 - 600 (٥٣)
- Bruno Snell, Op. Cit., P.129. (٥٤)
- S.G. Flygt, Op. Cit, P. 510 . (٥٥)
- Hipp., v.599. (٥٦)
- Ibdi, vv. 728 - 731 . (٥٧)
- Ibid, vv. 687 - 688, v.723. (٥٨)
- Ibid, vv. 706 - 709 . (٥٩)
- Ibid, vv. 778 - 779. (٦٠)
- Ibid, vv. 856 - 859. (٦١)
- Ibid, vv. 885 - 890. (٦٢)
- Ibid, v. 991 ff. (٦٣)
- S.G. Flygt, Op. Cit, P. 508. (٦٤)
- Aldin Lesky, Op. Cit, P.152. (٦٥)
- Gilbert Murray, *The Literature of Ancient Greece* (Chicago : Phoenix Books, (٦٦)
Univ. of Chicago Pr. 1956) P. 270
- يوربيديس ، هيبوليتوس ، ترجمة وتقديم ، د . عبد المعطي شعراوي ، ص ١٢ (٦٧)
- Hipp., vv. 971 - 972, v.1077. (٦٨)
- Ibid, vv. 688 - 692. (٦٩)
- يوربيديس ، هيبوليتوس ، ترجمة وتقديم ، د . عبد المعطي شعراوي، ص ١١. (٧٠)
- Oliver Taplin, Op. Cit, P. 95. (٧١)
- Gilbert Murray, Op. Cit, P.261. (٧٢)
- Hipp., vv. 959 - 961 , 1057 - 1059. (٧٣)
- Ibid, vv. 1310 - 1311 , 1336 - 1337. (٧٤)
- Ibid, v. 42. (٧٥)